

دراسة لظاهرة الاتساق في نصوص طلبة قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات بجامعة الجزائر

أ. خميسة بن تربة

أستاذة مكلفة بالدروس بالمدرسة العليا للأستاذة*بوزريعة*

نتعرض في بحثنا هذا لدراسة ظاهرة الاتساق في نصوص طلبة قسم اللغة العربية بجامعة الجزائر وقبل تقديم نماذج من هذه النصوص يجدر بنا أن نعرف الاتساق، حيث أن وحدة التحليل الأساسية هي النص مأخوذ في سياق الحديث، كما أن الخصائص النصية في جميع مستويات التحليل تدرس في إطار مجموع النص كالعائد والروابط والاتساق الافراي.

إن اعتبار معطى لغوي نصا متسقا أو غير متسق أقل ما يقتضيه الوعي بهذا الدور هو افتراض قدرة نصية لدى الطالب لها ضوابط ومكونات؛ إذ إن السامع أو القارئ عندما يحدد بوعي أو بدون وعي وضعية مدونة لغوية وثيقة الامتحان يستدعي بنيتين داخلية وخارجية؛ حيث تكمن البنية الداخلية في اعتماد الوسائل اللغوية التي تربط أجزاء مقطع ما، وتكمن البنية الخارجية في مراعاة المقام، لأن المتلقي يضع في اعتباره كل ما يعرفه عن المحيط، وبناء على ذلك انصب اهتمامنا على دراسة مظاهر الاتساق اللغوي الداخلي الذي يميز النصوص اللغوية للطلبة

الاتساق:

يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما

ويعود إلى الطريقة التي ترتبط بها العبارات أو القضايا فيما بينها بواسطة عمليات مختلفة بنوية أو تركيبية من أجل تكوين النصوص ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب بأكمله أي الكيفية التي يتماثل بها النص لذا وجب الكشف عن هذه الخصائص في نصوص الطلبة وبالتالي الكشف عما يميز النص عن متتالية مكونة من جمل غير مترابطة. إن الاهتمام بظاهرة الاتساق النصي دفع الباحثين إلى الاهتمام بالعناصر التي تحقق هذه الظاهرة والتي تتمثل في:

أدوات الاتساق:

الإحالة:

تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة وهي الضمائر وأسماء الإشارة ويمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو سياقية نصية حيث تساهم الإحالة المقامية في خلق النص لأنها تربط اللغة بسياق المقام ولكنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، في حين تقوم الإحالة النصية السياقية بدور فعال في اتساق النص ومن وسائل الاتساق الإحالية المذكورة سابقا.

الضمائر:

دفع الاهتمام بظاهرة الاتساق الباحثين إلى الاهتمام بالعناصر التي تحقق هذه الظاهرة، وشكل العائد مجالا واسعا للدراسة نظرا لأنه يحقق ميزتين أساسيتين؛ فمن جهة فهو يمكن القارئ من اقتصاد مجهوده في عملية الاحتفاظ بما قرأ ومن جهة أخرى يسمح باتساق النص والضمائر ليست فقط للاقتصاد ولكن كذلك لضرورة الوضوح وتصبح مسألة الوضوح إذن إجبارية وكذلك فإن استعمال الضمير يصبح إجباريا وتكون بذلك دراسة العلاقة التي تربط الضمير بسابقه ذات أهمية كما أن العلاقة التي يحققها العائد هي

علاقة سياقية داخلية وبالتالي فإن إحالته سياقية ويمكن تمثيل هذه العلاقة بما يلي:

إن الجسد إذا صلح كفاه القليل من الطعام فالعائد محقق لعلاقة سياقية لأنه ارتباط عنصر لغوي بما هو لغوي، كما أن اتجاه هذه العلاقة السياقية يكون وراثياً بالإضافة إلى العائد الذي يعتبر عاملاً محققاً للاتساق فإن هناك عاملاً آخر يتعلق بالروابط التي تربط بين الجمل إذ أن النص عبارة عن جمل متعاقبة خطياً، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص.

وكما هو معلوم فإن الجمل المعقدة تتكون انطلاقاً من جمل بسيطة، وظهور الجمل المركبة يصادف ظهور الروابط أو الكلمات الأدوات التي تسمح بالربط بين تلك الجمل، واكتسابها لا يكون بمعزل عن روابط النسق وروابط التعليق.

إن التطور الواضح نحو نظام من الترابط المنجز المسؤول عن اتساق نص الطالب يظهر من خلال روابط النسق وتمثل في:

الواو: عند كل المتكلمين يملأ وظيفتين تقليديتين استخرجهما النحاة العرب؛ فهو يملأ وظيفة علامة التتابع الزمني، وهو يستعمل بكثرة من أجل تسلسل الجمل في ترتيب منطقي.

الفاء: يملأ وظيفة التتابع، فحتى يحقق الطالب استمرارية الموضوع فإنه يلجأ إلى استعمال الفاء هذا الأخير يسمح بإقامة انسجام موضوعي بين مختلف الجمل ويسمح بالتالي بإعادة تشكيل الخطاب.

لم: يشير إلى الترتيب المنطقي للعبارات ويختلف عن الفاء نظراً لأن العبارة التي ترتبط به تفترض مدة من الوقت أطول وقد عبر عن ذلك النحاة العرب عندما قالوا بأنه حرف عطف يدل على الترتيب والتراخي.

أو: حرف عطف يرد لمعان كثيرة منها الشك والتخيير والإباحة.

بل: حرف عطف تسلب الحكم عما قبلها وتجعله لما بعدها.

حتى: واعلم أن حتى كثم في الترتيب مع التراخي غير أن التراخي في حتى أقل منه في ثم والمهملة المعتبرة في ثم إنما هي بالنسبة إلى الخارج، نحو جاء زيد ثم عمرو وفي حتى بالنظر إلى الدهن واعتبار المتكلم.

روابط التعليق:

تكتسب في سن متأخر واستعمالها الكامل والتام لا يبلغ إلا في مرحلة متقدمة خلال التمدرس، وهي تؤمن الربط بين عبارتين؛ منها:

لأن: استعمال لأن من قبل الطلبة يستجيب للحاجيات الخطائية حيث يعود الطلاب إلى هذا الرابط عندما يريدون التعبير عن الرغبة أو التوقع أو الإثبات والتقرير.
لكي: تعبر عن علاقة سببية.

لما: تضع علاقة بين جملتين أين تكون دلالة الأولى متعلقة بالجملة الثانية.

بالإضافة إلى روابط أخرى مركبة تتمثل في:

بالتالي، بالإضافة إلى، إلا أن، غير أن، رغم أن، إذ أن، إذن، كما أن، بحيث أن، أي أن... فالنص المنتج يمثل بنية منسجمة بفضل الأدوات اللسانية المسؤولة عن اتساق وانسجام النص.

نماذج تطبيقية من كتابات الطلبة:

تحليل أخطاء عدم اتساق الضمير العائد مع سابقه:

لقد ارتكب طلبة السنة الرابعة تسعة عشرة خطأ 19 يتعلق بعدم اتساق الضمير

مع سابقه (أي بنسبة 34054 من مجموع أخطاء عدم اتساق الضمير)، يليهم طلبة السنة الثالثة بخمسة عشرة خطأ (بنسبة أخطاء قدرت بـ 27027 من مجموع أخطاء عدم اتساق الضمير)، ثم يأتي طلبة السنة الأولى بمجموع ثلاثة عشرة خطأ (بنسبة 23063 من مجموع أخطاء عدم اتساق الضمير)، لنجد في الأخير طلبة السنة الثانية بمجموع ثمانية 8 أخطاء (أي بنسبة 14054 من مجموع أخطاء عدم اتساق الضمير) والملفت للانتباه (في مدونتنا) أن طلبة السنة الثانية الذين حققوا رقما قياسيا في عدد الأخطاء الإملائية من بين جميع سنوات الليسانس هم أنفسهم الذين سجلوا أضعف نسبة في عدد أخطاء عدم اتساق الضمير، بينما سجل طلبة السنة الرابعة أعلى نسبة في عدد أخطاء عدم اتساق الضمير - وهذه النتيجة لم تكن متوقعة على اعتبار أن طلبة السنة الرابعة قد وصلوا إلى المرحلة الأخيرة من مراحل الليسانس وهي السنة التي يتخرجون فيها - وقد وجدنا أن نصوصهم هي الأقل اتساقا من بين نصوص طلبة السنة الأولى والثانية والثالثة - وهذا يدعو إلى التساؤل عن كيفية وصول هؤلاء الطلبة إلى السنة الرابعة وهي المرحلة الأخيرة من الليسانس؟ وهل أن عملية انتقالهم من سنة إلى أخرى قد خضعت للشروط الموضوعية للانتقال؟

وهذه بعض النماذج من التعابير التي وجدناها في نصوصهم:

* أما المصنوع فهو كل لفظ غريب دخيل على اللغة العربية لا معنى ولا مدلول لها.

* فالتأمل في ملكوت الله والتدبر فيها لدليل من دلائل وجوده.

* أما الشعراء الرومانتيكيون فهو عكس التقليديون.

* وكذا تطور الاكتساب وانعكاسها على طرق تعليمية اللغة.

التحليل الكمي والوظيفي لمختلف الروابط:

من أجل حساب الروابط احتفظنا بكل الأدوات الوظيفية التي استعان بها الطالب والتي أعطت انسجاماً لنصه وتمثل في روابط النسق وروابط التعليق هذه الأدوات تعمل على مستوى النص كمنظمات سببية ومنطقية؛ ومن الواجب أن نميز خاصية بين الروابط الثابتة - روابط النسق - التي تربط بين أجزاء النص والروابط المتحركة - روابط التعليق - التي تجعل الخطاب (النص) يتقدم منطقياً حسب الجدول الذي نسب تواتر روابط النسق وروابط التعليق حسب سنوات الليسانس الأربعة -

الروابط/السنوات	روابط النسق	روابط التعليق
السنة الأولى	82.71%	17.28%
السنة الثانية	86.52%	13.47%
السنة الثالثة	81.08%	18.97%
السنة الرابعة	82.04%	17.97%

نلاحظ من الجدول الأعلى أن روابط النسق أكثر استعمالاً من روابط التعليق إذ نجدها بكمية مهمة في نصوص الطلبة.

روابط النسق:

نماذج من كتابات الطلبة من السنة الأولى إلى الرابعة:

الواو:

* ويتكون القياس من أربعة أركان الأصل والفرع والعلة والحكم.

* منها عبادة الحجارة والأوثان والنار.

* فلغته صافية وسهلة خالية من غريب الكلمات.

*فرق علماء اللسان بين اللسانيات التطبيقية واللسانيات العامة.

الفاء:

*فيعتبر الفاعل هو الأصل ونائب الفاعل الفرع.

*فالظلم إذن مصدره الشرك.

*فشوقي ينتمي إلى أسرة أرسطوقراطية.

*فالشرح أفضل وسيلة للتعلم.

أو:

*ومن كل ما سبق يمكننا أن نقول أن الاقتباس أعم من الإقتراض أو أن الإقتراض جزء من الاقتباس.

*كذلك الحجارة أو الشجر أو البحر وحتى البقرة.

* جعل لقصائده المطولة أو القصيرة عناوين.

* ولعل من أهم محاسن هذه المنهجية أو الطريقة أنها تقوي ذاكرة التلاميذ.

حتى:

*حتى عرف النحو أنه العلم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب.

*جعل الاسلام عقيدة التوحيد تقوم على العقل وتحكيمه حتى يكون الإنسان مقتنعا.

*في كل أساليبهم حتى لغتهم الشعرية.

*واهتمت بعملية حفظ القواعد حتى أصبحت تدرس القواعد لذاها.

بل:

*ولم يكن مقتصرًا على ألفاظ نبيلة بل بحسب الظروف.

*بل لا بد من الموازنة لأنها عملة واحدة.

*بل نجد أنه استطاع أن يعدد الأغراض في القصيدة الواحدة.
 *لا يأخذها كمعلومات عادية ثم تذهب هكذا بل تبقى معه في حياته الاجتماعية
 لأنه في حاجة إليها.

من التحليل السابق لروابط النسق نلاحظ أن استعمال هذه الروابط منتشر بكثرة في نصوص الطلبة فالواو قد شكل وحده نسبة كبيرة من حيث استعماله الوظيفي وبنسبة ضعيفة تأتي بقية الروابط الأخرى، كما أن الاستعمال الوظيفي لهذه الروابط قد خضع في أغلب الحالات لشروط الاتساق ولكن وجدنا في حالات أخرى تعسفا في استعمال هذه الروابط من قبل الطلبة وقد يكتب هؤلاء عبارات تحوي مثل هذه الروابط ولكنها تكون مبهمة غامضة تخرق قاعدة الاتساق.

روابط التعليق:

إن التحكم في الاستعمال الأمثل لهذه الأدوات الرابطة يتطلب تطورا معرفيا ولسانيا، فعلى مستوى هذا الأخير يجب على الطالب أن يتوفر على مجموعة من وحدات البناء التي من خلالها يستطيع أن يباشر اختياره حسب الجدول الذي يبين نسب تواتر روابط التعليق البسيطة والمركبة:

روابط التعليق المركبة	روابط التعليق البسيطة	روابط التعليق السنوات
34.56%	65.43%	السنة الأولى
48.22%	51.77%	السنة الثانية
69.18%	30.81%	السنة الثالثة
68.72%	31.027%	السنة الرابعة

روابط التعليق البسيطة:

أمثلة من كتابات الطلبة من السنة الأولى إلى الرابعة:

لأن:

*لأن الحروف هي الأصل والحركات أبعاض من الحروف.

*لأن الإسلام جاء هدى وبيانات للمتقين.

*لأن أحمد شوقي تناول تقريبا كل الأغراض الشعرية القديمة.

*لأنه غالبا ما يكون الشرح عن طريق التلقين كذلك.

أما:

*أما تعريف القياس عند النحويين فهو لا يختلف عن تعريف الأصوليين.

*فالحنفاء هم إتباع دين إبراهيم عليه السلام أما التائيين عن ذنوبهم هم الذين خرجوا

عن أديان آبائهم وأجدادهم.

*أما حياته فقد كانت حياة متميزة جدا.

*أما اللسانيات فجاءت لتبين طرق تعلم اللغات.

لذلك

*لذلك فيحمل الأصل على الفرع.

*لذلك نجد أن الإسلام قد حارب الشرك.

*لذلك جاء شعره لطيف محبوب ومحبد.

*لذلك لابد أن نلاحظ أن هذه الطريقة لا تطبق على تعليم اللغة الأم.

أمثلة عن روابط التعليق المركبة

غير أن:

* غير أن القياس أصله فقها قبل أن يكون نحويا.

*غير أن الضرر الأكبر هو لما تفسد العلاقة بين الإنسان والإنسان.

*غير أنه أولى الأهمية القصوى في بدايته الشعرية.

*غير أنه لا يقدم هذا الزوج إلى المتعلم واللغة الهدف.

حيث أن:

*حيث أن الاقتباس أعم وأشمل.

*حيث أننا لا يمكن لنا أن نكتشفه في الوقت المناسب.

*حيث أنها تابعة للغة القديمة من حيث جزالة اللفظ ورقتها وتعدد معانيها.

*حيث أن المتلقي يتعلم شيء جديد.

ولكن:

*ولكن المولد ليس مصنوع.

*فالمشركين قد نجحوا في حضارتهم المادية ولكنهم فشلوا وسيفشلوا في حضارتهم المعنوية.

*ولكن دون أن ننكر أن ألفاظ شوقي الشعرية قد امتازت بالقوة والإحكام والتجانس.

*ولكن كانت لهاته الطريقة مساوئ إذ أن الترجمة لا تساعد على تعلم اللغة المحلية.

من التحليل السابق لروابط التعليق البسيطة والمركبة نلاحظ أن الطلبة قد أغزروا من استعمالها، وقد تفاوتت نسب استعمالها بحسب السنوات وطبيعة الموضوع (أسئلة الامتحان).

وما يجدر ذكره هو أن الطلبة قد استعملوا هذه الروابط أحيانا كثيرة في أماكنها المناسبة وأحيانا أخرى وجدناهم قد استعملوها ووظفوها في جمل مبهمه تثبت عجزهم اللغوي في التعبير.